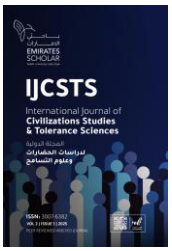

International Journal of Civilizations Studies & Tolerance Sciences
Vol 2 Issue 1 (2025)
Pages (53–61)

Available at www.emiratesscholar.com

© Emirates Scholar Center for Research and Studies

صنع السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين وفق أراء الحاخامات: موقف الحاخام عوبديا يوسف أنموذجا

Odeya Schuz[1], Nesya Rubinstein-Shemer[2]
odeya.schuz@biu.ac.il[1], Nesya.Shemer@biu.ac.il2
Bar Ilan University[1,2]

ARTICLE INFO

Published on 12th of May 2025
Doi:10.54878/80s7zg54

KEYWORDS

عملية السلام الإسرائيلية-الفلسطينية , اليهودية , الحاخام عوفاديا يوسف ,إتفاقيات أوسلو , الأرض مقابل السلام, أرض إسرائيل, الشريعة اليهودية)الهالاخاه(

HOW TO CITE

صنع السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين وفق أراء الحاخامات: موقف الحاخام عوبديا يوسف أنموذجا. (2025). *International Journal of Civilizations Studies & Tolerance Sciences*, *2*(1), 53-61.

© 2025 Emirates Scholar Center for Research and Studies

ABSTRACT

النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني :تحليل أكاديمي للبعد الديني يُعَدُّ النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني مثالاً على صراع الهوية الذي يشتمل على نزاع حول العنصر الموضوعي المتمثل في الأرض، إلى جانب عناصر الهوية الذاتية مثل التاريخ والثقافة، وفوق كل ذلك - الدين. على مرّ السنين، لم تُولِ عملية السلام السياسية اهتماماً كافياً للعنصر الديني في النزاع، ويبدو أن هذا الأمر قد أضرَّ بها. نسعى إلى توجيه الانتباه إلى الموقف الديني للشريعة اليهودية تجاه عملية السلام، بهدف المساعدة في ترسيخها في المستقبل .تقدم هذه الدراسة موقفاً شرعياً حول إحدى القضايا المحورية في صنع السلام بين إسرائيل والفلسطينيين: اتفاقية "الأرض مقابل السلام" - هل هي مسموحة أم محظورة، وتحت أيّ شروط. أولاً، تستعرض الدراسة مكانة أرض إسرائيل في الديانة اليهودية، ثم تبحث المسألة من خلال التركيز على شخصية وفتاوى الحاخام عوفاديا يوسف، الذي كان الحاخام الأكبر في إسرائيل(1973-1983) وأحد أهم الفقهاء في العالم اليهودي في الجيل الأخير، والذي أجاز اتفاقيات السلام القائمة على مبدأ "الأرض مقابل السلام"، على الرغم من اختلاف العديد من الحاخامات معه في هذا الرأي .تهدف هذه الدراسة إلى رسم مسار ممكن للحصول على دعم شرعي من الحاخامات لعملية السلام من أجل المساعدة في التوصل إلى اتفاقية سلام مستدامة .

بعد خروجهم من مصر، دخلوا الأرض، وبعد عصر القضاة، هُيئَ لتأسيس المملكة. قام سليمان الملك، بن داؤود عليهما السلام الذي أنهى طرد الأمم من أراضي البلاد، ببناء الهيكل في القدس، مملكة إسرائيل الموحدة. بُني الهيكل على جبل الموريه، الذي كان مكاناً مقدساً لعبادة الله حسب التراث اليهودي منذ آدم الأول عليه السلام.

بعد هذه الفترة المزدهرة مباشرة، بدأ تدهور في الوضع الروحي والسياسي للشعب اليهودي، الذي سيشهد الخراب والنفي من أرضه مرتين. وقد وُصف الخراب والمنفى مسبقاً في التوراة كعقاب إلهي على ترك العهد مع الله (سفر التثنية، الإصحاح 29، الآيات 21-27). ومع ذلك، هناك وعد إلهي في التوراة بأن الله سيجمع شعب بني إسرائيل من جميع الشعوب التي تشتت بينها وسيعيده إلى أرض آبائه (سفر التثنية، الإصحاح 30، الآيات 3-5). ويتكرر هذا الوعد كثيراً في كلام الأنبياء حتى في وقت الخراب نفسه، مثل النبي إرميا عليه السلام, الذي حذّر من الخراب، كما وعد قائلاً: (إرْمِياه 31 ,4) "وَتَعُودِينَ وَتَغْرُسِينَ كُرُوماً فِي قُرَى شُومِرُونَ (السامرة), يَغْرُسُهُ الْغارِسُ وَيبذُلُهُ "; النبي يِحزْقِيل عليه السلام (الإصحاح 36, الآيات 24) "وَأَتَّخِذُكُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَأَجْمَعُ شَمْلَكُم مِن جَمِيعِ الْبُلْدانِ وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى بَلَدِكُمْ"; النبي عَامُوس عليه السلام (الإصحاح 9, الآيات 14-15) "وَرَدَدْتُ سَبْيَ قَوْمِي بِسْرائِيلَ

وَيَبْنُونَ الْقُرَى الْموحِشَةَ وَيَسْكِنُوها , وَيَغْرِسُونَ كُرُوماً وَيَشْرَبُونَ عَصِيرَها, وَيَزْرَعُونَ رِياضٌ وَ يَأكُلُونَ ثَمَرِها. وَأُنَصّبهُم فِيها وَلا يُهاجروا أَبَداً مِنْ أرضهم الَّتي أَعْطَيْتُهُا لَهُمْ, قَالَ اللَّهُ رَبُّكَ ."

في عام 586 قبل الميلاد، دمر البابليون هيكل سليمان، وخرج معظم أسباط إسرائيل إلى المنفى. وبقي في الأرض سبط يهوذا - الذي سُمي الشعب اليهودي على اسمه. وبعد هزيمة الإمبراطورية البابلية على يد الإمبراطورية الأخمينية بقيادة كورش الكبير (538 قبل الميلاد)، سمح كورش لبني إسرائيل بالعودة إلى الأرض وبناء الهيكل الثاني هناك. حينها بدأت فترة "العودة إلى صهيون" ، التي بلغت ذروتها في ثورة المكابيين ضد أنطيوخوس الرابع ملك اليونان وتأسيس حكم مستقل في عام 140 قبل الميلاد، إلى جانب الترميم الفخم للهيكل الثاني على يد هيرودوس الملك في عام 10 قبل الميلاد. في عام 64 قبل الميلاد، احتل الرومان يهودا وحولوها إلى مقاطعة رومانية. وفي أعقاب تمرد يهودا على الإمبراطورية الرومانية، دمر الرومان الهيكل الثاني في عام 70 ميلادياً. بعد تدمير الهيكل الثاني بدأت فترة المنفى الكبير، المعروفة أيضاً باسم 'المنفى الروماني'. ومع ذلك، حتى في أصعب الفترات خلال هذا المنفى وتحت تغيرات الحكم المضطربة في أرض إسرائيل، يشهد التراث إلى جانب الأدلة الأثرية والتاريخية أن الاستيطان اليهودي ظل شاهدا على ذلك.

مكانة أرض إسرائيل في الشريعة اليهودية

للأهمية الكبيرة لأرض إسرائيل في الوعي اليهودي، كما أظهر هذا الاستعراض الموجز، نتيجتان رئيسيتان: إحداهما شرعية والأخرى عقائدية. من الناحية الشرعية، الأمر بالغ الأهمية لدرجة أن الحاخام رمبان في تفسيره للتوراة (سفر اللاويين، الإصحاح 18، الآية 25) يشرح أنه "في الأصل كل الوصايا لمن يسكن أرض الرب" - جميع الوصايا ملزمة فقط في أرض إسرائيل. ويضيف 'رشي' في تفسيره للتوراة (سفر التثنية، الإصحاح 11،

مقدمة

الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني هو مثال على صراع الهوية الذي يتضمن صراعًا على قضية مركبة للإقليم، جنبًا إلى جنب مع مكونات هوية ذاتية مثل التاريخ والثقافة، وفوق كل شيء - قضية الدين. وعلى مر السنين، لم تولِ عملية السلام السياسية اهتمامًا كبيرًا للبعد الديني للصراع، ويبدو أن هذا كان سببًا في فشلها. ولذلك نحن نرغب في توجيه الانتباه إلى الموقف الديني للفقه اليهودي تجاه عملية السلام، بهدف المساعدة في تأسيسها مستقبلا. وفي هذا المقال سنعرض موقفًا فقهيًا حول إحدى القضايا الهامة في صنع السلام بين إسرائيل وفلسطين: اتفاق "أراضٍ مقابل سلام" - هل هو مسموح أم محظور، وتحت أية شروط؟ ولكن قبل أن نناقش هذه المسألة، من المهم للغاية فهم مكانة وقدسية أرض إسرائيل من وجهة نظر يهودية. ونظراً لضيق المجال، يمكننا أن نقدم هنا فقط ملخصاً موجزاً لبعض المواضيع من المصادر العديدة المتوفرة في اليهودية في هذا المجال الواسع.

العلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل

وفقاً للتراث والحضارة اليهودية، يبدأ تشكّل الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وترتبط قصته بها برباط عميق على مر التاريخ، خاصة في العصر التوراتي. تبدأ القصة عندما أمر الله إبراهيم عليه السلام بالخروج من موطنه في آرام من بلاده في النهرين إلى أرض إسرائيل (التي كانت تُسمى في ذلك الوقت أرض كنعان) ليجعل منه أمة عظيمة (سفر التكوين، الإصحاح 12، الآية 1). وعد الله إبراهيم عليه السلام عدة مرات بأنه سيعطي الأرض له ولنسله (على سبيل المثال - سفر التكوين، الإصحاح 13، الآيات 14-17؛ الإصحاح 15، الآيات 4-7، 18-21؛ الإصحاح 17، الآيات 1-9).

وبالفعل، وُلد إسحاق عليه السلام ونشأ في أرض كنعان، وأمره الله بالبقاء في الأرض رغم المجاعة ووعد بإعطائها له ولنسله - كابن إبراهيم عليه السلام المختار (سفر التكوين، الإصحاح 26، الآيتان 2-3). اضطر يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام للفرار من الأرض بسبب خلاف مع أخيه عيسو، لكن الله وعد بأنه ونسله سيواصلون العهد مع إبراهيم عليه السلام ويرثون الأرض (سفر التكوين، الإصحاح 28، الآيات 13-15).

بعد المصالحة مع عيسو، عاد يعقوب وعائلته إلى الأرض، لكن في أواخر أيامه نزل يعقوب عليه السلام إلى مصر ليتحد مع ابنه يوسف عليه السلام الذي أصبح هناك حاكماً ونائباً للملك. قبل وفاته، استحلف ابنه يوسف ألا يدفنه في مصر، بل في مقبرة آبائه في مشهد إبراهيم (مغارة المكفيلة) في أرض كنعان، لأن الله وعد يعقوب عليه السلام بأنه بعد انتهاء أيام المنفى في مصر، سيخلّص أبناءه من هناك ويعيدهم إلى الأرض (سفر التكوين، الإصحاح 47، الآيات 29-31؛ الإصحاح 48، الآية 21؛ الإصحاح 49، الآيات 29-32).

ظل هذا التراث الذي ورثه بنو إسرائيل عن الآباء في قلوبهم في مصر. ورغم العبودية القاسية التي عانوا منها في مصر، عرفوا دائماً أنه سيأتي يوم يخلصهم فيه الرب إله آبائهم ويعيدهم إلى الأرض التي وعدهم بها (سفر الخروج، الإصحاح 6، الآية 8). لذلك، طلب يوسف الصدّيق عليه السلام, أن يُدفن في أرض كنعان واستحلف بني إسرائيل أنه عندما يتحررون من مصر سيأخذون عظامه معهم ويعيدونها للدفن في أرض كنعان.

"واشترى جبل السامرة... وبنى على الجبل مدينة سماها السامرة" (الملوك الأول، الإصحاح 16، الآية 24). فقط الميراث والإقامة معًا يشكلان الارتباط الكامل بين شعب إسرائيل وأرضه، والتي "تشمل جميع الفرائض، وتشمل كل التوراة، وتحديد المواسم والأشهر، وكذلك جميع فرائضها ومناح حياة الأمة المرتبطة بها". سنرى فيما يلي الدقة المهمة بين هذين المكونين - الميراث والإقامة.

بالتوازي وكاستكمال لذلك، حرمت التوراة على الشعب اليهودي السماح بإقامة دائمة للأمم الوثنية في أرض إسرائيل. في هذه المسألة المعقدة، تجدر الإشارة إلى أن مسألة تحديد العلاقات بين اليهود وجيرانهم من غير اليهود هي مسألة شرعية مهمة ناقشها اليهود طوال سنوات وجودهم، سواء كأصحاب سيادة في أرضهم أو كأقلية مشتتة بين الأمم الأخرى. ذهب جزء كبير من الفقهاء إلى أن الديانتين العظيمتين، المسيحية والإسلام، تؤمنان بإله واحد
وملتزمتان ببعض قواعد الأخلاق التي تم تبنيها من قبلهم، وبالتالي فإن معتنقيها لا يعتبرون وثنيين. هذا الوضع يسمح ببعض التخفيفات في الحظر المرتبط بالعلاقة بين الشعب اليهودي والأمم الأخرى، بعضها سيوصف لاحقًا .
أحد قواعد الحظر الرئيسية هو "ألّا يسكنوا في أرضك" (سفر الخروج، الإصحاح 23، الآية 33) الناتج من المخاوف من أن السكان الوثنيين سيجذبون خطايا وانصهارًا بين الشعب اليهودي. وحسب رأي بعض الفقهاء، فان هذا الحظر لا يطبق في الوقت الراهن لأنه ليس هناك إمكانية قانونية دولية لإبعاد الأمم المقيمة في إسرائيل ، ولكن وفق رأي الأغلبية يجب بذل جهد للحفاظ على الحظر في الحالات التي يكون ذلك ممكنًا، مثل تشجيع الهجرة بطرق مسموح بها. وحظر بارز آخر يتعلق بعدم السماح للتمركز في الارض - "فإذا أدخلك الرب... إلى الأرض التي أنت ذاهب إليها لتمتلكها، وطرد شعوبًا كثيرة من أمامك... لا تسمح لهم بالتمركز" (سفر التثنية، الإصحاح 7، الآيات 1-5)، وقد فُسِّر أن أحد معانيه هو "لا تُعْطِهم إقامة في الأرض" (التلمود البابلي، عبودة زاره، الصفحة 20، العمود 1) - وهو حظر بيع أرض من أرض إسرائيل للأمم، سواء بسبب المخاوف من الخطيئة والانصهار، أو للحفاظ على السيطرة والأغلبية اليهودية ومنع الاستيلاء الأجنبي العدائي .
في الحظرين المذكورين أعلاه اختلف الفقهاء فيما إذا كان المسلمون يُعتبرون "وثنيين" وينطبق الحظر عليهم، أم لا؟ في بعض الأحيان يضم البعض إيمان الإسلام بالتوحيد، المتميز عن عبادة الأوثان، إلى أسباب أخرى، مما يسمح بالتيسير والسماح ببيع أو إقامة المسلمين في الأرض على الرغم من هذه الحظر. ومن ناحية أخرى، تفاقم الأفعال التي يقوم بها العديد من الفلسطينيين والعرب الإسرائيليين ضد وجود الشعب اليهودي في أرضه، الحظر في نظر البعض، لأنهم بذلك ينتهكون حظر "لا تقتل" ومحظورات أخرى من شأنها أن تخرجهم من تعريف "غر

بالإضافة إلى ذلك، في فترة السيادة اليهودية القديمة في أرض إسرائيل كان هناك تحديد شرعي لـ"غر توشاف"، وهو غير يهودي يتخذ على عاتقه عددًا محدودًا من الفرائض والالتزامات (المعروفة باسم "سبع فرائض بني نوح" والتي تشمل من بين أمور أخرى حظر عبادة الأوثان) التي تنطبق على العالم بأسره وفقًا للتوراة، ويعترف بالسيادة اليهودية على أرض إسرائيل. يُسمح لـ "غر توشاف" بالسكن في الأرض وبيع الأراضي له بشروط معينة. ونتيجة لهذا التحديد، هناك نقاش شرعي-ديني بين الحاخامات حول وضع الأقليات الدينية القاطنة في دولة الآية 18) أن ممارسة الفرائض خارج البلاد هدفها أن لا ينسوها. بالإضافة إلى ذلك، من بين 613 فريضة مُلزَمة على اليهود، هناك الكثير ما يُعرف بـ "فرائض مرتبطة بالأرض"، أي أن تنفيذها ممكن فقط على أراضي أرض إسرائيل، وهدفها التعبير عن قدسيتها الخاصة. معظمها مرتبط بالزراعة، على سبيل المثال الهبات للفقراء من المحصول الزراعي، والفرائض الإضافية حول العمل الزراعي (على سبيل المثال سفر الخروج، الإصحاح 23، الآيات 6-7). وهذا يعني أن الحياة الدينية الكاملة يمكن أن تكون فقط في أرض إسرائيل. بالإضافة إلى ذلك، فقط في أرض إسرائيل توجد الكثير من الفرائض العامة، مثل الأمر بتعيين ملك، وترتيب مكانة الكهنة واللاويين ووظائفهم، وبالطبع - بناء الهيكل (على سبيل المثال سفر الخروج، الإصحاح 25، الآية 8). أي أن الحياة القومية الكاملة للشعب اليهودي يمكن أن تكون فقط في أرض إسرائيل. بالإضافة إلى ذلك، هناك تعبيرات شرعية عن أهمية أرض إسرائيل، مثل إمكانية منح الزوج لزوجته طلاق دون دفع المستحقات المالية المتفق عليها في الزفاف (بالعبرية: كتوبة- عقد الزواج) إذا لم تكن مستعدة للذهاب معه إلى أرض الميعاد، وعلى العكس إمكانية المرأة المطالبة بالطلاق مع دفع كامل المهر ومستحقاتها في حالة رغبتها في للذهاب الى الارض وزوجها غير مستعد (وفقاً لكتاب القانون الأساسي والأهم الذي ألفه الحاخام يوسف كارو، الفقيه اليهودي الذي عاش في صفد بين عامي 1488-1575: شولحان عاروخ، أفن هاعيزر، السمة 75، الفقرة 4).

بخلاف كل ذلك، هناك فرائض خاصة تتعلق بالسيطرة على الأرض نفسها والعيش فيها. أولاً، تفسير التوراة ينص على أن "السكن في أرض إسرائيل يعادل جميع الفرائض في التوراة" (تفسير سفر التثنية، الفقرة 19 الآية 29). التوراة تأمر الشعب اليهودي "وتملكتم الأرض وسكنتم فيها" (سفر العدد، الإصحاح 33، الآية 53)، ومن هذا نشأت فريضتان: الأولى - فريضة عامة لمُلك الأرض، أي الحفاظ على الحق فيها، وفي حالة فقدان هذا الحق، يلجأ لتحقيق السيادة عليها بالطرق السلمية (مثل اتفاق الأمم، على سبيل المثال القرار 181 للجمعية العامة للأمم المتحدة، أو شراء الأراضي من أصحابها كما هو معتاد) أو بالقوة (احتلال عسكري لاستعادة السيطرة على الإقليم التاريخي). كما قال الحاخام رمبان: "أُمِرنا باستيعاب الأرض التي أعطاها الله تعالى لآبائنا - إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم
السلام - ولا ندعها في يد غيرنا من الأمم أو نتركها مهجورة" . لأهمية هذا الامر فأنه يجوز انتهاك السبت من أجل التوقيع على اتفاقية شراء أرض في أرض إسرائيل من غير يهودي. الفريضة الثانية - استيطان الأرض، وهي فريضة فردية على كل يهودي للعيش في الأرض وتطويرها. ويشرح الحاخام موسى بن ميمون، أهمية ذلك حتى في حالة عدم وجود سيادة يهودية كاملة (=ميراث) على الأرض - "يجب على الإنسان أن يقيم دائمًا في أرض إسرائيل، حتى ولو في مدينة غالبية سكانها من غير اليهود، ولا يقيم في الخارج حتى ولو في مدينة غالبية سكانها يهود. لأن من يخرج إلى الخارج كمن يمارس عبادة الأوثان" (تلمود موسى ابن ميمون، كتاب القضاة - قوانين الملوك والحروب، الفصل الخامس، الإصحاح 12). فريضة استيطان الأرض مهمة لدرجة أن فقهاء التلمود قالوا عن عمري، أحد ملوك إسرائيل الأشرار الذين أخطأوا كثيرًا، أنه على الرغم من ذلك فقد حظي بأن حكم ثلاثة أجيال من ذريته بعده "لأنه بنى مدينة كبيرة في إسرائيل" (مدراش إليا رابا، تفسير لسفر الملوك 1، الإصحاح 16، الآية 24) - وهي مدينة السامرة،

المجازفة من أجلها. ويبدو أن الأمر يعتمد على تقييم الواقع - مدى خطورة عدد الخسائر في الأرواح، وما هي احتمالات النصر - وعندما لا تكون التوقعات مؤكدة، يجب الامتناع عن إدخال الجيش والمدنيين في موقف "حفظ النفس" في حرب يمكن الامتناع عنها. هذه المسألة مرتبطة بالعلاقة بين توطين الأرض وحفظ النفس، جنبًا إلى جنب مع الاعتماد على فهم الواقع، وهي تُشكل أساساً مهماً لفهم المواقف الفقهية فيما يتعلق باتفاقيات السلام.

أرض إسرائيل في العقيدة اليهودية

لقد قرر علماء وحاخامات التلمود أن "كل من يسكن خارج أرض إسرائيل فكأنما يعبد عبادة وثنية" أو "يشبه من لا إله له" (تلمود بابلي, كتوبوت, 110:1)، أي أن الصلة بالأرض مماثلة للصلة بالله. ويرجع ذلك إلى أنه فقط في أرض إسرائيل يوجد ترابط كامل بين الحياة الروحية والحياة المادية والطبيعية، حيث يتشاركان الاثنان معًا في عبادة الله. من الناحية العقائدية، فإن الموارد المادية لأرض إسرائيل، مثل الزراعة، هي أيضًا مقدسة، كما هو واضح من الكثير من الفرائض المرتبطة بها. كما أن أرض إسرائيل هي "الأرض التي يراقبها الرب إلهك دائمًا، وعيون الرب إلهك عليها" (تثنية 11:12) - الأرض التي اختارها الله ليُضْفي سكينته عليها، وطوال التاريخ اليهودي معظم الأنبياء تلقَّوْا الوحي في أرض إسرائيل. على الرغم من أنه كان هناك القليل جدًا ممن تنبأوا في السبي، إلا أن ذلك كان فقط لأجل العودة المستقبلية إلى أرض إسرائيل (تلمود بابلي, سوطة, 48:2؛ تلمود بابلي, سنهدرين, 11:1). علاوة على ذلك، فإن لدراسة التوراة في أرض إسرائيل أفضلية خاصة، لأن "هواء أرض إسرائيل يخلق حكماءَ" (تلمود بابلي, بابا باترا, 158:2)، وأجزاء معينة من التوراة يمكن أن تتجلى وتُفهم بالكامل فقط في أرض إسرائيل. ويمكن تلخيص ذلك في القول إنه فقط عندما يتصرف الشعب اليهودي كما ينبغي ويعيش على أرض إسرائيل، فإنه يصل إلى درجة كاملة من فهم تعاليم التوراة والايمان بها، ويحظى بعلاقة كاملة كشعب متحد مع الله. لذلك تُسمى الحياة خارج أرض إسرائيل "منفى"، وهي بتعريفها ليست طبيعية، وإنما مجرد انتظارٍ للعودة إلى الطبيعة، وهي حياة الشعب اليهودي في أرض إسرائيل .

حقًّا، إن فكرة الفداء مرتبطة بلا انفصام بالعودة إلى أرض إسرائيل، والتي تُسمى أيضًا "جمع الشتات". وقد حُفظ الأمل والانتظار لذلك على مدار سنوات المنفى الطويلة في جميع أنحاء العالم اليهودي. كما يطلب كل يهودي ذلك في صلاته ثلاث مرات في اليوم: "ارفع راية لجمع شتاتنا... ولترى عيوننا عودتك إلى صهيون برَحَماتِنا". وهذا موضوع مركزي في الأدب الرباني، وفي مقدمته التلمود، الذي يقول على سبيل المثال: "جمع الشتات أعظم من يوم خلق السماوات والأرض" (تلمود بابلي, فسحيم, 88:1)، وكما قال الحاخام أبا (في تلمود بابلي, سنهدرين, 98:1): "لم نجد أكثر من ذلك في توضيح لتمام 'فترة الخلاص'، كما جاء (في نبوءة حزقيال 36:8): 'وأنتم يا جبال أرض إسرائيل سوف تنمو غصونكم وتحملوا ثماركم لشعبي إسرائيل، فإنه قد قرب مجيؤكم'". وفسره الحاخام ٍراشي': "تحملوا ثماركم بعين فاضلة. هناك يسرع التقارب من الوصول إلى 'فترة الخلاص'، ولم نجد أكثر من ذلك في توضيح لتمام 'فترة الخلاص'". أي أن تاريخ شعب إسرائيل ومستقبله جذوره عميقًة في أرض إسرائيل.

هناك تياران رئيسيان في اليهودية الأرثوذكسية، يختلفان عن بعضهما البعض بشكل أساسي في موقفهما من الصهيونية القومية الحديثة للشعب اليهودي المتجسدة في وجود دولة إسرائيل. فمن ناحية، يرى العديد من إسرائيل اليوم. هناك من يرى أن الشعب اليهودي ليس لديه الشروط الضرورية لقبول "غر توشاف"، مثل السنهدرين (السلطة الشرعية العليا في أيام الهيكل)، أو أن الأقلية المسلمة في دولة إسرائيل لا تستوفي معايير هذا التعريف، وبالتالي فهو غير ذي صلة. ومن ناحية أخرى، هناك آراء تسمح بتطبيق تعريف "غر توشاف" على هذه الأقليات بناءً على حقيقة أنهم يؤمنون بإله واحد ويتبعون ديانات منظمة. وفقًا لهذا المنظور، اتبعت السيادة الدينية الرئيسية في إسرائيل، منذ بدايات الدولة، ممارسة بإقامة شراكة فعلية بين المواطنين اليهود وغير اليهود، مما يسمح بإنشاء إطار قانوني موحد لليهود وغير اليهود، والعمل على إلغاء التمييز ومنع الكراهية .

أحكام حفظ النفس في سياق أرض إسرائيل

في التوراة (اللاويين 18:5) مكتوب: "وحفظتم فرائضي... التي يعمل بها الإنسان ويحيا بها". ومن هذا تعلمنا القاعدة الفقهية "وتعيش بها - ولا تموت بها" (تلمود بابلي يوما 85:2). التوراة تقيّم قيمة الحياة فوق كل شيء، ولذلك فإن "حفظ النفس" - تُشكّلُ حالةَ خطرٍ على حياة اليهودي – وبذلك يُسمح باتخاذ جميع الوسائل اللازمة لإنقاذ الحياة، بما في ذلك إلغاء جميع الفرائض (مماثل لقاعدة الضرورة في الشريعة الاسلامية)، باستثناء الثلاث الفرائض الأكثر خطورة وهي: تحريم القتل، تحريم الزنا مع المحارم، وتحريم عبادة الأوثان (تلمود بابلي سنهدرين 74:1). ولكن "حفظ النفس" هو أمر واقعي، وبالتالي فإن القرار الفقهي الذي يُلغي واجب أداء الفريضة أو الامتناع عن المحظور، يعتمد على فهم الواقع والإجابة المهنية عن السؤال: هل في الحالة التي يُصِرّ فيها اليهودي على الالتزام بالشريعة العادية، ستكون حياته في خطر؟ فعلى سبيل المثال، إذا قرر طبيب متخصص أنّ على يهودي معين ألا يصوم في الصوم الكبير ليوم الغفران، فسيأمره الحاخام بعدم الصوم. ولكن الحاخام يعتمد على التحديد الطبي-المهني للطبيب، ولا يستطيع أن يحكم بنفسه ما إذا كان هذا المرض أو ذاك يشكل خطرًا على الحياة في الصوم. وقد أدى تعقيد القرار الفقهي ونسبيته إلى أن الحجة المتعلقة ب "حفظ النفس" قد خدمت طوال عملية السلام بين إسرائيل وفلسطين كلاً من الحاخامات المؤيدين لاتفاقيات السلام - الذين ادّعوا أن الاتفاقيات ستمنع الحرب التي هي "حفظ النفس"، وفي الوقت نفسه، من خلال تحليل معاكس تمامًا للواقع، أُستُخدِمت هذه الحجة أيضًا من قِبل الحاخامات المعارضين للاتفاقيات الذين ادّعوا أنها تُعرّض أمن إسرائيل وتُدخل سكانها في حالة "حفظ النفس."

إذن، ما هو موقف فرائض ملكية الأرض وتوطين الأرض مقابل "حفظ النفس"؟ يبدو أن الأمر بسيطاً وأنها ستُلغى. هنا يجب التمييز بين نوعين من الحروب: حرب الفريضة (جهاد الدفع)، حيث نضطر للقتال ضد عدو يُهدد حياة الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، أو يريد ملاحقتهم وإذلالهم. في هذه الحرب، برأي الجميع، هناك التزام مطلق بالقتال، حتى لو كان من المفترض أن يكون هناك قتلى، لأن حفظ النفس للأفراد ينحسر أمام خطر حفظ النفس للأمة. النوع الثاني من الحرب هو حرب الاحتلال (جهاد الطلب)، وهي الحرب التي تبدأ بقصد ملكية الأرض بالقوة وتوطينها. في هذه الحرب، هناك خلاف حول ما إذا كانت مؤجلة لصالح حفظ النفس أم لا. هناك من يزعم أن الأمر بفتح الأرض - في الحرب، كما في أيام يوشع بن نون عليه السلام - مباح وملائم لتعريض الجنود للخطر من أجل امتلاك الأرض. وهناك من يقول إن الاحتلال وحتى الضم في إطار القانون الدولي اليوم لا يسمحان بالسيطرة المطلقة وفق ما جاء في التوراة، وبالتالي لا يطلق عليها حكم "الاحتلال" ويُحظر

الأكبر لدولة إسرائيل في الأعوام 1973-1983. اشتهر الحاخام يوسف بقوة ذاكرته الاستثنائية وصبره الكبير. لقد كتب العديد من الكتب الأكثر شيوعًا للشعب اليهودي. كانت بعض أحكامه الفقهية رائدة وذات أهمية قومية. في الوقت نفسه، كان واعظًا مؤثرًا وله تأثير كبير، وكان يميل إلى الجمع بين القانون والإشارات الواقعية في خطبه، وكان أيضًا مؤسسًا وقائدًا روحيًا لحزب "شاس" (حراس التوراة الشرقيين)، وبالتالي كان زعيمًا شعبيًا ذا تأثير سياسي كبير .

بدأ حزب شاس طريقه في السياسة الوطنية قبيل انتخابات عام 1984 بهدف قيادة الجمهور الشرقي الحريدي. وسرعان ما وسع حزب شاس نشاطه للاهتمام بالجمهور الشرقي بأكمله وبالشرائح الضعيفة، مع تعزيز الوعي والفخر العرقي. بسبب الحاجة والرغبة في جمع القوة التي تمكنه من تحقيق ذلك، كان شاس مرنًا في شروطه للانضمام إلى الائتلاف، وظل لسنوات عديدة المُرَجّح لكفة تشكيل الحكومات. بخلاف ناخبي الحزب الذين هم من ناحية الملف الاجتماعي والاقتصادي والديني ذوي آراء يمينية واضحة في مجالات السياسة والأمن، حيث يعتبر الحاخام يوسف شخصية معتدلة بشكل كبير. وهل كان هذا صحيحا بالفعل؟ سنلقي نظرة على تعليقاته على اتفاقيات السلام المختلفة في فترة نشاطه للوقوف على مبرراته الفقهية، مع التركيز على موقفه من قضية "الأراضي مقابل السلام."

تبلور موقف الحاخام عوفاديا في قضية "الأراضي مقابل السلام" خلال فترة توليه منصب الحاخام الأكبر - عند توقيع معاهدة السلام مع مصر عام 1979. ففي المؤتمر الذي عُقد في أغسطس 1979، ألقى الحاخام عوفاديا خطاباً أحدث ضجة في المجتمع الإسرائيلي، حيث عرض للمرة الأولى فلسفته في هذه القضية. وقد نُشر هذا الخطاب لاحقاً في كتبه.

إن موقف الحاخام يوسف من هذه القضية يستند في الأساس إلى تعريف السيادة (المتعلقة بميراث الأرض)، أو بمصطلح فقهي آخر متداول - "قوة إسرائيل المهيمنة". فحسب رؤيته، في المناطق المتنازع عليها خارج حدود 1967، حيث لا يُعد الوجود الإسرائيلي ذوسيادة كاملة و"لا توجد قوة إسرائيلية مهيمنة" - سواء من منظور القانون الدولي أو من منطلق القلق على يهود الشتات عموماً ويهود الدول العربية خصوصاً. لذلك، وبالاقتران مع الآراء التي لا تعتبر المسلمين عبدة أوثان، فإنه يؤيد الرأي القائل بأنه في حالة عدم اكتمال "ميراث الأرض"، لا تنطبق المحظورات المتعلقة بـ "لا يسكنوا في أرضك" و"لا تمنحهم التوطن".

يطرح الحاخام يوسف حجة مهمة أخرى - وهي حماية الأرواح. أولاً، يُظهر الواقع أن هذه المناطق تشكل مصدراً للإرهاب والخطر، و"الطرق في يهودا والسامرة وغزة تعتبر خطرة، ولا نملك عليها سوى سيطرة عسكرية فقط، دون أي إمكانية حتى للمرور فيها بأمان، ناهيك عن الاستيطان فيها. وبالتأكيد هذا لا يندرج تحت وصية الاحتلال كشخص يتصرف كما لو كان في ملكه". بالإضافة إلى حالة النقص في ميراث الأرض، فإن خطورة حكم حماية الأرواح تستلزم تسليم الأراضي لوقف الإرهاب الحالي وحتى لمنع تصعيده إلى حرب مستقبلية، حتى وفقاً للمناهج الفقهية التي تعتبر محظورات "لا يسكنوا في أرضك" و"لا تمنحهم التوطن" سارية الى اليوم وتنطبق على المسلمين الفلسطينيين: "إذا قرر قادة ومسؤولو الجيش مع أعضاء الحكومة أن هناك خطراً على أرواح المواطنين اليهود، وأنه إذا لم تُعد الأراضي من أرض إسرائيل فهناك خطر حرب فورية قائم من جانب الجيران العرب... وإذا أُعيدت لهم الأراضي سيزول عنا خطر الحرب، وهناك فرص للسلام الدائم، يبدو أنه حسب جميع الآراء يجوز إعادة أراضٍ من أرض إسرائيل لتحقيق هذا الهدف، إذ لا يوجد شيء يقف في الحاخامات عودة شعب إسرائيل إلى أرضه في العصر الحديث بما هو موصوف في أسفار الأنبياء والتلمود. وهم يحددون إقامة دولة إسرائيل على أنها بداية عملية الخلاص، ويرون أهمية النشاط الفعّال من أجل توطين الأرض وتعزيز الدولة، بما في ذلك الخدمة العسكرية. ويُطلق على هذا التيار "الصهيونية الدينية"، وهو التيار الذي يجمع بين الإيمان الديني وأداء الفرائض والقومية الصهيونية الحديثة المستمدة من الصلة الدينية والتاريخية بأرض إسرائيل. التيار الثاني هو التيار ال'حريدي' (الديني المتشدد), حيث يرى هذا التيار أن هناك عيبًا في مظاهر القومية الصهيونية لأنها علمانية وبعيدة عن التوراة والتقليد اليهودي التاريخي. ويؤمن العديد من الحاخامات ال'حريديم' (المتدينون) بأن الخلاص سيأتي من خلال الالتزام الصارم بالتوراة والفرائض، وينعزلون داخل أنفسهم لتجنب التأثيرات الأجنبية. يُحجم ال'حريديم' عن المشاركة النشطة في حياة الدولة، ولا يشاركون في الجيش، ويقللون من العمل من أجل توطين الأرض في المناطق المتنازع عليها. وللاختلافات بين هذين التيارين تأثير مهم على المواقف من اتفاقيات السلام، حيث أن التصورات المختلفة التي تضع تأكيدات مختلفة – بينما تؤكد الصهيونية الدينية على أرض إسرائيل وال'حريديم' يؤكدون على التوراة – وهذه النظرة المختلفة ستؤدي إلى تنازلات لازمة حول اتفاقيات السلام. وهكذا يمكن رؤية كيف أن الاختلافات في المفهوم القومي تخلق اختلافات في المفهوم الديني، وبالعكس. ويرجع ذلك إلى أن اليهودية هي "دين قومية" أو "قومية دينية"، وهي مفهوم معقد حيث الدين والقومية مختلطان دون انفصال، حيث للقومية تجليات دينية وللدين تجليات قومية، كما هو واضح في وصف الأحكام والفرائض الخاصة بأرض إسرائيل.

القضايا الأساسية الفقهية فيما يتعلق باتفاقيات السلام

تتكون اتفاقيات السلام من العديد من القضايا المعقدة والمتشعبة، وبالتالي فإن الموقف الفقهي منها أيضًا معقد. من بين العديد من القضايا التي يمكن أن تُدرج في الاتفاقيات بين إسرائيل وفلسطين، فهناك العديد من القضايا البارزة ذات المعنى الفقهي الديني. أولاً، فهم الأسس الدينية للصراع والقدرة على بناء الثقة مع الطرف الآخر ونواياه. ثانيًا، إطلاق سراح السجناء، وهي قضية تتعلق بقانون حفظ النفس والكثير من القضايا الأخرى. ثالثًا، وجود حرب قائمة في الوقت الحاضر، مما يجعل جميع القضايا أكثر تعقيدًا. وأخيرًا، قضية تسليم أراضي من أرض إسرائيل في إطار اتفاق سلام أو خطوات للتوصل إلى اتفاق سلام، والتي تُعرف باسم "أرض مقابل سلام". فلا يمكننا مناقشة جميع هذه القضايا، ولكن من المهم إثارة درجة التعقيد الكبيرة والمُركّبة أمام القارئ وتقديم مصطلحات وأفكار أساسية في هذا الموضوع. في هذا المقال اخترنا التركيز على قضية "أرض مقابل سلام" من خلال الموقف المميز والهام للحاخام عوبديا يوسف. ورغم تأثيره الهائل، إلا أن هذا الموقف لا يقبله معظم الجمهور المتدين، وقد أثارت منشوراته في هذا الشأن العديد من الخلافات والتحفظات من قبل شخصيات تأثيرية أخرى، مثل الحاخام مليوبافيتش, هوالحاخام منحم مندل شنرسون، والحاخام الرئيسي لإسرائيل اللواء (متقاعد) شلومو جورن، وغيرهم.

حالة دراسية: موقف الحاخام عوبديا يوسف من قضية "الأراضي مقابل السلام"

الحاخام عوبديا يوسف (بغداد 1920 - القدس 2013) والملقب "مران"، كان من كبار الفقهاء في الجيل الأخير، وله سلطة لا تُزعزع في العالم اليهودي بأكمله، وكان حاخامًا وقاضيًا في القاهرة والقدس، والحاخام

الحاخام يوسف إلى شيطنة العدو والتأكيد على مخاطره، ومن هنا تأتي الحاجة المتزايدة للابتعاد عنه

وخلق انفصال واضح وعدائي، حتى على حساب التنازل عن أجزاء من الأرض المقدسة. هذا يميز النهج الحريدي الذي يهتم باستمرار وجود وبقاء الشعب اليهودي، سواء من الناحية المادية أو الروحية. فالتسامح السياسي الذي أظهره المجتمع الحريدي (الأشكنازي أيضاً) في بعض الأحيان لا ينبع من أيديولوجية ليبرالية، بل من اعتبارات يهودية تقليدية .

كان الحدث البارز التالي الذي سُمع فيه رأي الحاخام يوسف العلني بشأن الأراضي مقابل السلام هو اتفاق إعلان المبادئ المعروف أيضاً باسم أوسلو أ أو 'غزة وأريحا أولاً' (1993). في انتخابات 1992 التي فاز فيها حزب العمل برئاسة إسحاق رابين، حيث قاد آرييه درعي، تلميذ الحاخام يوسف المقرب، حزب شاس إلى إنجاز 6 مقاعد - رغم التحقيق في قضية رشوة ضد درعي والخلاف مع اليمين بسبب علاقات الحاخام يوسف الوثيقة مع رابين. وفي مقابلة بعد الانتخابات قال الحاخام يوسف "الجمهور يعرف أننا نسعى نحو السلام وهم يدعموننا... رغم الاضطهادات من الداخل والخارج" وقرر حزب شاس الانضمام إلى الائتلاف، رغم الحاجة للتعاون مع أحزاب معادية للدين. وحرص رئيس الوزراء رابين على الحفاظ على تماسك الحكومة ذات الأغلبية اليهودية (دون الحاجة للاعتماد على الدعم الخارجي من أعضاء المعارضة من الأحزاب العربية "حداش" "وميداع") حتى نضوج المفاوضات السرية في أوسلو.

وعندما نضجت المفاوضات وتم التوقيع على الاتفاق بالأحرف الأولى في أوسلو وطُرح للتصويت في الحكومة في 30 أغسطس 1993، كانت الآراء داخل الحزب منقسمة حول دعم الاتفاق، وكذلك آراء خبراء الأمن الذين استشارهم أعضاء شاس: "هل هذا هو السلام المثالي... لست متأكداً. قدسية الإنسان تسبق قدسية الأرض، ولكن ليس على حساب إباحة دماء اليهود... كلما تعمقنا في المحادثات مع السياسيين والعسكريين، زادت شكوكنا

ومخاوفنا". انتظر الجميع قرار الحاخام يوسف، الذي مال إلى دعم الاتفاق، لكنه قرر في النهاية أن يمتنع وزراء شاس عن التصويت في جلسة الحكومة، وذلك فقط بعد أن تأكد من أن لدى رئيس الوزراء رابين أغلبية كافية لتمرير الاتفاق حتى مع ذلك .

في 8 سبتمبر 1993 استقال رئيس شاس درعي من منصبه كوزير بعد تقديم لائحة اتهام ضده. وفي 13 سبتمبر تم التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ (أوسلو أ) في حفل رسمي في البيت الأبيض، وفي 23 من الشهر نفسه تم طرح الاتفاق للمصادقة في الكنيست. وهنا أيضاً اتبع الحاخام يوسف نفس النهج، ورغم الضغوط الكبيرة التي مورست عليه شخصياً من كل اتجاه، أمر أعضاء الكنيست من شاس بالامتناع عن التصويت. وفي التصويت على الاتفاق حظي باغلبية 61 عضو كنيست وعارضه 50، وامتنع أو تغيب ستة أعضاء كنيست من شاس (بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء كنيست من الليكود). وبعد خصم أصوات أعضاء الكنيست العرب الخمسة، ظل للائتلاف أغلبية 56 مقابل 50، وبذلك منح شاس رئيس الوزراء رابين أقصى ما يمكن في هذا الوضع - أغلبية يهودية وزيادة الفارق في التصويت لصالح الاتفاق .

كان من الواضح أن تصرفات أعضاء حزب شاس كانت نتيجة مباشرة لرأي الحاخام يوسف، وعلى الرغم من أنه لم يصدر فتوى فقهية جديدة تتعلق مباشرة بإعلان المبادئ، فإن رؤيته مستمدة من نفس الخطب التي

وجه حماية الأرواح... وإذا كان هناك خلاف في الأمر، فالشك من أجل حفظ النفوس يؤدي إلى التيسير في القضية، ويجب إعادة الأراضي لمنع خطر الحرب المحتمل". العامل الحاسم في هذه المسألة هم المختصون وخبراء الأمن، الذين يعرفون كيف يقررون ما إذا كان الاحتفاظ بالأراضي المتنازع عليها يفيد أمن الدولة، أو قد يؤدي إلى الحرب وتعريض الأرواح للخطر. كما يؤكد الحاخام يوسف أنه وفقا للقاعدة الفقهية التي تسمح بالتيسير حتى في حالة الشك من اجل حماية الأرواح، فحتى إذا كان هناك خلاف بين الجهات الأمنية، يجوز التخفيف والتنازل عن الاحتفاظ بالأراضي رغم قدسيتها، على أمل أن يؤدي تسليمها إلى السلام والاستقرار. هذه الحجة المهمة المتعلقة بحماية الأرواح نابعة من تجربة الحاخام يوسف المؤلمة في التعامل مع ضحايا حرب يوم الغفران (أكتوبر 1973) التي دفعته إلى اعتبار اتفاقية السلام التي تمنع المزيد من إراقة الدماء حاجة حيوية، خاصة الاتفاقية المطروحة مع مصر. ومن منطلق قلقه على أرواح اليهود، فضّل الحاخام يوسف التنازل عن بعض الأراضي المقدسة في أرض إسرائيل، من أجل إيجاد حاجز واضح وصريح

يحمي أرواح شعب إسرائيل من العدوان الفلسطيني والعربي، الذي أبدى اشمئزازا منه وأكد في كتاباته وخطبه على الشر المتأصل فيه .

ويضيف الحاخام يوسف أن تسليم الأراضي لا يعبر عن نقص في الإيمان بالله، بل هو إجراء مناسب في ضوء الواقع، مع الإيمان الكامل بأنه في المستقبل عند مجيء الخلاص ستعود السيادة اليهودية إلى جميع أجزاء أرض إسرائيل الكاملة - "حتى يُعجّل الله خلاصنا وجمع شتاتنا وإعادة جميع الأراضي إلينا مع زيادة كبيرة ."

وفي الختام، يوضح الحاخام يوسف نقطة بالغة الأهمية: أن كلامه ليس حكماً فقهيا مطلقاً وشاملاً، بل إطار تأمل عام يجب تطبيقه على كل حالة على حدة، خاصة بعد الفحص الدقيق للواقع ورأي الخبراء الأمنيين في المجال. فإذا أظهر هذا الفحص أن السيطرة على الأراضي المطروحة للتفاوض ليست مطلقة وفقاً لتعريف 'ميراث الأرض'، وأن الخبراء يؤكدون أن تسليمها سيؤدي إلى السلام والاستقرار، فإنه يجوز تسليمها مقابل اتفاقية سلام. وبما أن اتفاقية السلام مع مصر استوفت هذه الشروط الفقهية الأساسية، أيد الحاخام عوفاديا يوسف التوقيع على الاتفاقية التي تضمنت، من بين أمور أخرى، التنازل عن أراضي شبه جزيرة سيناء. وفي المقابل، في خضم الانتفاضة الأولى عام 1989، رفض الحاخام يوسف طلب وزير المالية شمعون بيريس بالإعلان أن فتواه بشأن اتفاقية السلام مع مصر تنطبق أيضاً على يهودا والسامرة فيما يتعلق بالفلسطينيين. وفي خطاب آخر في نفس المؤتمر السنوي، أكد الحاخام يوسف أن كلامه قبل عقد من الزمن لم يعد مناسباً للواقع الحالي، حيث أن الشروط التي وضعها للسماح بتسليم الأراضي لم تتحقق وفقاً لخبراء الأمن. كما ادعى أن الواقع يظهر أنه "لا يوجد من نتحدث معه" وأن الإرهابيين الفلسطينيين ثابتون في مطالبتهم بجميع أراضي البلاد، ولذلك من الواضح أن التنازل عن الأراضي سيضر فقط بالوضع الأمني، وبدون الحجة المركزية لحماية الأرواح لا توجد طريقة للسماح من الناحية الفقهية بالمساس بقدسية الأرض .

يُعد نهج الحاخام عوفاديا يوسف استثنائياً إلى حد كبير في العالم الديني، بسبب اعتداله في المسألة السياسية وتسامحه حول مبدأ قدسية الأرض. لكن يمكن أن نرى من خلال حججه أن نهجه استثنائي أيضاً في العالم الليبرالي، لأنه لا يستند إلى الأخلاق الإنسانية، أو الاعتراف بمطالب الخصم، أو الرغبة في المصالحة والتوفيق. بل على العكس تماماً، يستند

لإعلان المبادئ، الذي كان مبنياً كما وُصف على الانفصال والعداء وليس على الرغبة في التجسير والاعتراف المتبادل، تم إلغاؤه لاحقاً في ضوء الواقع الدامي الذي انفجر في عام 2000 وما بعده مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، لنفس السبب الذي رفض فيه الإعلان بأن تصريح 'الأراضي مقابل السلام' ساري المفعول أيضاً تجاه الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى في عام 1989: لم يكن هناك سلام حقيقي، ولا منع للخطر على الأرواح، بل ضرر متزايد ومتعمق في أمن دولة إسرائيل الذي جر وراءه خطراً على الأرواح وموت العديد من اليهود.

ملخص

أظهرنا في هذا المقال أن الدين يمكن أن يشكل عاملًا مخففًا يؤدي إلى حل النزاع. فمثال الحاخام يوسف يقدم الأمل وإمكانية تحقيق السلام من منظور الفقه اليهودي، من خلال التأكيد على أهمية قداسة حياة الإنسان مقابل قداسة الأرض. وفي الوقت نفسه، يظهر الحاخام يوسف التعقيدات الواقعية المعتمدة على التحليل السياسي والأمني، والتحفظات التي يجب على الحاخامات اتخاذها في مواقفهم نتيجة لذلك. وفي الختام، وبالإضافة إلى اتفاق السلام السياسي المركز على الممارسة، من المهم تقديم إجابة للأسس الثقافية والدينية للصراع. فهناك حاجة أساسية حيوية لبناء ثقة متبادلة بين الطرفين وإظهارها على أرض الواقع، من أجل تحويل الرأي الفقهي النظري الذي يسمح باتفاقيات "أراضٍ مقابل سلام" لتكون أمرا واقعيًا.

مرجع

[1] دكتورة نسيه شيمر, باحثة في قسم دراسات الشرق الاوسط في جامعة بار إيلان في إسرائيل. أودايه شاز هي طالبة دكتورة تحت إشراف دكتورة نسيه شيمر. - Nesya Rubinstein-Shemer (+99) Academia.edu

[2] للمزيد انظر الحاخام إليعزر ميلميد، **درر الشريعة - الشعب والأرض** (פניני הלכה – העם והארץ)، هر براخه : مطبعة معهد هر براخه, 2007, ص 13-14.
[אליעזר מלמד, **פניני הלכה – העם והארץ**, הר ברכה: מכון הר ברכה, 2007, עמ' 13-14].

[3] صهيون هو أحد الأسماء المعروفة لأرض إسرائيل وللقدس وفق التراث اليهودي. وذُكر مرات عديدة في ال"تناخ". على سبيل المثال في سفر مزامير داؤود (الزبور) 126: "ترنيمة المعارج، عندما رد الرب سبي صهيون، صرنا مثل الحالمين."

[4] ألحاخام موسى بن نحمان، (باختصار رمبان 1194-1270م)، الفقيه والمفسر والمفكر البارز في تاريخ الشعب اليهودي، عاش في إسبانيا وأرض إسرائيل.

[5] ألحاخام شلومو يتسحاقي, (باختصار رشي 1040-1105م)، يعتبر من أكبر وأهم مفسري "التناخ" والتلمود في التاريخ اليهودي، عاش في فرنسا.

[6] للمزيد أنظر أيضا: سفر اللاويين، الإصحاح 19، الآيات 6-7، 18، 23-25؛ سفر اللاويين، الإصحاح 25، الآيات 2-6؛ سفر التثنية، الإصحاح 24، الآيات 19-21.

[7] للمزيد أنظر أيضا: سفر اللاويين، الإصحاح 27، الآية 2؛ سفر العدد، الإصحاح 9-31؛ سفر العدد، الإصحاح 15، الآية 20؛ سفر العدد، الإصحاح 18، الآيات 25-28؛ سفر التثنية، الإصحاح 17، الآية 14؛ سفر التثنية، الإصحاح 18، الآيات 3-4.

ألقاها في عامي 1979 و1989. حيث قال أحد أعضاء الكنيست من الحزب: "كتلة شاس... لا تنكر حقيقة أن عملية السلام وصلت

إلى وضعها الحالي بمساعدتها... استناداً إلى فتوى سيدنا الحاخام عوفاديا يوسف الشهيرة، بأن قدسية الإنسان تسبق قدسية الأرض... التي قادتنا للجلوس في الائتلاف، بهدف تحقيق سلام عادل في دولة إسرائيل ." وبالنظر إلى نفس إطار الشروط الفقهية التي قدمها الحاخام يوسف في فتاويه السابقة، كان وضع إعلان المبادئ غامضاً إلى حد كبير. أولاً، كان الأمر يتعلق باتفاق مبادئ لا يمكن معرفة نتائجه النهائية مسبقاً. ثانياً، كانت آراء خبراء الأمن الذين التقى بهم الحاخام يوسف منقسمة للغاية، وقوبلت طلباته للقاء كبار المسؤولين مثل رئيس الأركان إيهود باراك بالرفض. وبالتالي، فإن هذا، إلى جانب القيود السياسية وعلى رأسها استقالة الوزير درعي، والتي منعت شاس من مواصلة التأثير الكبير على عملية المفاوضات، قاد الحاخام يوسف إلى الامتناع عن التصويت. وبذلك، أظهر دعماً سلبياً للاتفاق، لأنه "لا يمكن التصويت ضد فرصة لفتح صفحة جديدة"، على أمل أن يؤدي حقاً إلى سلام حقيقي وأن نتائج مفاوضات الاتفاق الدائم لن تخيب الآمال ولن تؤدي إلى تحقق مخاوف بعض خبراء الأمن .

كان الحدث التالي الذي تناول فيه الحاخام يوسف مسألة الأراضي مقابل السلام في عام 2003، في خضم انتخابات الكنيست وعلى خلفية خطة الانفصال التي تضمنت أيضاً تسليم أراضٍ. أكد الحاخام أنه لم يتراجع عما نشره في حينه بأنه "من أجل السلام مع الأمن الحقيقي، يمكن التنازل عن الأراضي، لأن كل يهودي يساوي عالماً بأكمله"، لكنه في رسالة مفتوحة أوضح أن الواقع يثبت أن اتفاقية أوسلو لم تكن سلاماً حقيقياً، وبالتالي - "الفتوى الشرعية التي أصدرتها في حينه 'أراضٍ مقابل السلام' غير سارية المفعول إطلاقاً في ظل الوضع الراهن. كنت أقصد فقط السلام الحقيقي... ولكن الآن، عيوننا ترى وتدرك أنه على العكس، فإن تسليم الأراضي من بلادنا المقدسة يسبب خطراً على الأرواح. لم نكن نأمل بسلام كهذا... لذلك فان اتفاقية أوسلو لاغية وباطلة، لأنني سلام، وعندما أتكلم وجهتهم هم للحرب". قدم آرييه درعي تفسيراً إضافياً للتغيير في موقف الحاخام يوسف: "بعد أوسلو الأولى، أدركنا الحقيقة... رأينا أن هناك تغيرات لصالح الفلسطينيين، وأن عرفات يأخذ دون أن يعطي في المقابل، وعندها قال الحاخام يوسف 'هذا لم يعد حفاظاً على الأرواح مقابل الأراضي، بل أراضٍ مقابل لا شيء" . وفي حالة عدم الحصول على مقابل من السلام الحقيقي ومنع الخطر على الأرواح، فإن الحاخام يوسف أيضاً يحرم تسليم الأراضي المقدسة من أرض إسرائيل، خاصة إذا كان تسليمها قد يؤدي في حد ذاته إلى تصاعد الإرهاب ضد دولة إسرائيل. وبشكل مماثل، عبّر الحاخام يوسف عن خطة الانفصال قائلاً: "ماذا سيقول الغرباء؟ الإرهاب نجح... ها هي المكافأة التي حصلنا عليها، طردنا هؤلاء اليهود. غداً سنفعل ذلك في الخليل، وبعد غد في بئر السبع. هذا الاقتراح مرفوض تماماً، إنه خطير على الشعب اليهودي". أي أن الواقع الأمني والسياسي لم يُتح أفقاً للسلام الحقيقي الذي سيأتي مقابل تسليم الأراضي، تماماً كما تعامل الحاخام مع إمكانية مماثلة في عام 1989.

من خلال تصريحاته المتعددة حول الموضوع وبنظرة إلى الوراء، يمكن رؤية أنه في الساحة العربية، آمن بشكل واعٍ وبعد فحص دقيق، بوجود إمكانية عقلانية لسلام حقيقي يتضمن تسليم أراضٍ، كما اقترح في عام 1979 وكما تعامل مع اتفاقية السلام مع مصر. لكن في الساحة الفلسطينية، تحققت مخاوفه وتحطمت توقعاته. حتى دعمه المشروط

[נחום אליעזר רבינוביץ', "גר תושב בזמן הזה", **מכון מעליות**; צבי יהודה הכהן קוק, "הנכרי אשר בקרב הארץ", **שיחות הרצי"ה – ארץ ישראל**, בית אל: ספריית חוה, 2005, עמ' 121-112; בן ציון מאיר חי עוזיאל, "העכו"ם והנכרי בדיני ישראל", **התורה והמדינה**, גיליון 4, 1951, עמ' 21-9].

[19] ميليد، **درر الشريعة - الشعب والأرض**، ص 43-100.

[20] ال"مهارال"، الحاخام يهودا لافي بن بتسلئيل، (1522-1609)، فقيه وفيلسوف ومتصوف، عاش في موراڤيا وبوهيميا في جمهورية التشيك الحديثة، **كتاب خلود إسرائيل** (נצח ישראל)، القدس: معرض الكتاب، 2010، ص 3-7.
[מהר"ל, **נצח ישראל**, ירושלים: הוצאת יריד הספרים, 2010, עמ' 3-7].

[21] نيتسان حن وأنشيل ببر، **مَرَان - عوبديا يوسف: السيرة الذاتية**، القدس: كيتر، 2004، ص 13 – 190، 193 – 250.
[ניצן חן ואנשיל פפר, **מרן – הרב עובדיה יוסף: הביוגרפיה**, ירושלים: כתר, 2004, עמ' 13-190, 193-250].

[22] هناك، ص 253-273; نيسيم ليئون، "شاس، الحاخام عوبديا يوسف والعملية السياسية" (ש"ס, הרב עובדיה והתהליך המדיני)، **دراسات في نهضة إسرائيل**، العدد 21، 2011، ص 172 – 189.
[שם; ניסים ליאון, "ש"ס, הרב עובדיה והתהליך המדיני", **עיונים בתקומת ישראל**, גיליון 21, 2011, עמ' 172-189].

[23] تمار هرمان وأفرايم يعار، ""اليسارية لحزب شاس - صورة وواقع"، في **:شاس - تحدي الإسرائيلية**، تحرير يوآف بيليد، تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2001، ص 343 – 389; أورين يفتاحيل، "المجتمع الإسرائيلي والمصالحة اليهودية-الفلسطينية: 'الإثنوقراطية' وتناقضاتها الإقليمية"، **مجلة الشرق الأوسط**، المجلد 51، العدد 4، 1997، ص 505-519.
[תמר הרמן ואפרים יער, "ה'יוניות ' של ש"ס – דימוי ומציאות", בתוך יואב פלד (עורך), **ש"ס – אתגר הישראליות**, תל אביב: ידיעות ספרים, 2001, עמ' 343-389;
Oren Yiftachel, "Israeli Society and Jewish-Palestinian Reconciliation: 'Ethnocracy' and Its Territorial Contradictions", **Middle East Journal**, Vol. 51, No. 4, 1997, pp. 505-519].

[24] عوبديا يوسف، **مَسَا عوبديا** (رسالة عوبديا)، القدس: مؤسسة الحاخام كوك، 2007، ص 333-342.
[עובדיה יוסף, **משא עובדיה**, ירושלים: מכון הרב קוק, 2007, עמ' 333-342].

[25] هناك; موسى بن ميمون، **مشنا توراة** - قوانين عبادة الأوثان، القدس: شاباتي فرانكل، 2001،
الفصل 10, الإصحاح 4-6.
[שם; רמב"ם, **משנה תורה – הלכות עבודה זרה**, ירושלים: הוצאת שבתי פרנקל, 2001, פרק 10, הלכות 4-6].

[26] عوبديا يوسف، "إعادة الأراضي من أرض إسرائيل في حالة وجود خطر على الحياة"، **كوبيتس توراـشبعلـفه** (مجموعة التوراة الشفهية

[8] الحاخام رمبان، ملحقات الرمبان على لكتاب الفرائض للحاخام موسى بن ميمون، القدس: شاباتي فرانكل، 2002، ص 281, الفريضة الرابعة.
[הרמב"ן, שכחת העשין לדעת הרמב"ן, בתוך ספר המצוות לרמב"ם, ירושלים: הוצאת שבתי פרנקל, 2002, עמ' 281, המצווה הרביעית].

[9] التلمود البابلي، جيطين (كتاب الطلاق)، الصفحة 8، العمود 2.

[10] الحاخام موسى بن ميمون (1138-1204م)، الفقيه والفيلسوف والطبيب الأبرز في العالم اليهودي وكذلك في العالم كله في العصور الوسطى، عاش في الأندلس والمغرب ومصر.

[11] الحاخام يشساخار شلومو تايختال، (1885-1945م)، فقيه ورئيس المعهد الديني الذي عاش في المجر وقُتل في المحرقة، كتاب إم هابانيم سيمحاه (أم الأولاد فَرِحة)، القدس: كل مافيشار، 1998، ص 169.
[ישכר שלמה טייכטל, אם הבנים שמחה, ירושלים: קול מבשר, 1998, עמ' 169].

[12] يعقوب ناغين، سارئيل روزنبلات وأساف ملاخ، الله سيكون واحد - إعادة تصور نهج اليهودية تجاه الأديان الأخرى، ترجمة دانيال تاباك، مركز نور التوراة للحوار بين الأديان – اصدار ماجد للكتب: القدس، 2024.
[Yakov Nagen, Sarel Rosenblatt and Assaf Malach, God Shall Be One - Reenvisioning Judaism's Approach to Other Religions, Translated by Daniel Tabak, Ohr Torah Interfaith Center - Maggid Books: Jerusalem, 2024].

[13] الحاخام شاؤول إسرائيلي، 1909-1995م، فقيه عاش في أرض إسرائيل وعمل في مجالات الشريعة والدولة. "حالة غير يهودي في دولة إسرائيلية في ضوء فقه"، التوراة والدولة، العدد 7-8، 1956, ص 96-120.
[שאול ישראלי, "מעמד הנכרי במדינה ישראלית לאור התורה", התורה והמדינה, גיליון 7-8, 1956, עמ' 96-120].

[14] ميليد، درر الشريعة - الشعب والأرض، ص 107-110.

[15] موسى بن ميمون، مشنا توراة - قوانين عبادة الأوثان، القدس: شاباتي فرانكل، 2001، الفصل 10، الفقرة 4.
[רמב"ם, משנה תורה-הלכות עבודה זרה, ירושלים: הוצאת שבתי פרנקל, 2001, פרק 10 הלכה 4].

[16] "غر توشاف", هو تعريف فقهي- يهودي لمواطن غير يهودي، الذي يمكنه العيش في أرض إسرائيل والحصول على الحماية والحقوق الفردية وحتى التعاطف، مقابل لقبول الفرائض والمحظورات الأساسية، وعلى رأسها الإيمان بإله الواحد إلى جانب الاعتراف بالسيادة اليهودية على الأرض.

[17]ميليد، **درر الشريعة - الشعب والأرض**، ص 107-108.

[18]نحوم إليعزر رابينوفيتش، "غر توشاف في هذا الزمان" (غير اليهودي الذي يسكن في الأرض في هذا الزمان، **معهد معاليوت**، https://ybm.org.il/Admin/uploaddata/LessonsFiles/Pdf/9662.pdf.; تسفي يهودا هاكوهين كوك، "المواطن غير اليهودي الذي يسكن الأرض"، **محاضرات الراتسيا - أرض إسرائيل**، بيت إيل: مكتبة حافا، 2005، ص 121-112; بن صيون مئير حاي عوزيئيل، "ألمواطن غير اليهودي في أحكام التوراة"، **التوراة والدولة**، العدد ، 1951، ص 9-21.

[פרוטוקול ישיבת הכנסת השלוש עשרה מספר 129, 21.9.1993, **מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל**, עמ' 101- 102;

Jonathan Rynhold, The Failure of the Oslo Process: Inherently Flawed or Flawed Implementation? **Mideast Security and Policy Studies** No. 76., 2008, The Begin-Sadat Center for Strategic Studies. Ramat Gan: Bar-Ilan University, pp. 2–26].

[38] نحوم برنع، "سلام سلام وليس شاس"، **يديعوت أحرونوت** (يديعوت أحرونوت)، 10.9.1993، ص 2.

[נחום ברנע, "שלום שלום ואין ש"ס", **ידיעות אחרונות**, 10.9.1993, עמ' 2].

[39] شلومو بنيزري، بروتوكول جلسة الكنيست الثالث عشر رقم 130، 22.9.1993، **مركز المعلومات والبحث ـ موقع الكنيست**، https://main.knesset.gov.il/Activity/plenum/Pages/Sessions.aspx، ص 154 – 155.

[שלמה בניזרי, ציטוט מפרוטוקול ישיבת הכנסת השלוש עשרה מספר 130, 22.9.1993, **מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל**, עמ' 154-155].

[40] أرييه درعي، بروتوكول جلسة الكنيست الثالث عشر رقم 131، 23.9.1993، **مركز المعلومات والبحث ـ موقع الكنيست**، https://main.knesset.gov.il/Activity/plenum/Pages/Sessions.aspx، ص 37.

[פרוטוקול ישיבת הכנסת השלוש עשרה מספר 131, 23.9.1993, **מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל**, עמ' 37].

[41] مناحيم رهط، **شاس ـ الروح والقوة**، بني براك: ألفا للاتصالات، 1998، ص 271 – 272.

[מנחם רהט, **ש"ס – הרוח והכוח**, בני ברק: אלפא תקשורת, 1998, עמ' 272-271].

[42] روعي مندل، "الحاخام يقول بإعادة المناطق" (الحربي امر للحزير شطحيم)، **Ynet ـ يديعوت إنترنت**، 11.10.2013، https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4439266,00.html.

[רועי מנדל, "הרבי אמר להחזיר שטחים", **Ynet– ידיעות אחרונות**, 11.10.2013].

[43] "الحاخام عوبديا يوسف يلغي التأييد لاتفاقية أوسلو" (הרב עובדיה יוסף מבטל צידוד בהסכמי אוסלו)، **قناة 7**، 27.1.2003، https://www.inn.co.il/news/43533.

["הרב עובדיה יוסף מבטל צידוד בהסכמי אוסלו", **ערוץ 7**, 27.1.2003].

[44] يوسي هاخط، "القائد المؤثر في إسرائيل"، **السابع ـ خط الصحافة**، 9.10.2013، ص 35.

[יוסי הכט, "המנהיג המשפיע בישראל", **שביעי – קו עיתונות**, 9.10.2013, עמ' 35].

[45] مركز قطيف، **فيسبوك**، 11.10.2018، https://www.facebook.com/watch/?v=1000349183477298.

[מרכז קטיף, **פייסבוק**, 11.10.2018]

- المِشنَاه, קובץ תורה בעל פה) 21، 1980، تحرير يتسحاق رفائيل، القدس: مؤسسة الحاخام كوك، ص 11-28.

[עובדיה יוסף, ""החזרת שטחים מארץ ישראל במקום פיקוח נפש", בתוך יצחק רפאל (עורך), **קובץ תורה שבעל פה**, ירושלים: מוסד הרב קוק, גיליון 21, 1980, עמ' 28-11.

[27] هناك، ص 14.

[28] هناك، ص 15.

[29] هناك، ص 17-18.

[30] هناك.

[31] هناك، ص 11; هرمان ويعار، "اليسارية صورة وواقع"، ص 343 – 389.

[32]دوف واكسمن، "القضايا المتعلقة بالهوية - عملية أوسلو وهوية إسرائيل الوطنية"، في مريم فيندبوس-إلمان، أوديد هكلائي وهنريك سبراويت (محررون)، **الديمقراطية وحل النزاعات ـ معضلات صنع السلام في إسرائيل**، نيويورك: مطبعة جامعة سيراكيوز، 2014، ص. 150-153.

[Dov Waxma, "Identity Matters - the Oslo Process and **Democracy and Conflict** Israeli National Identity" in **Resolution - the Dilemmas of Israel's Peacemaking,** Miriam Fendius-Elman, Oded Haklai and Henrik Spruyt, (Eds.), New York: Syracuse University Press, 2014, pp. 150-153].

[33] عاريه داين، **المعيين همیتجابر: قصة حركة شاس** (النبع المتدفق: قصة حركة شاس)، القدس: كيتر، 1999، ص 321.

[אריה דיין, **המעיין המתגבר: סיפורה של תנועת ש"ס**, ירושלים: כתר, 1999, עמ' 321].

[34] دافيد لندو، "الحاخام عوبديا: كيف نجت الكتلة البرلمانية"، **معاريف – السبت**، 6.11.1992، ص 8 – 9.

[דוד לנדאו, "הרב עובדיה: כך ניצלה הקואליציה", **מעריב – שבת**, 6.11.1992, עמ' 8-9].

[35] بروتوكول جلسة الكنيست الثالث عشر رقم 130، 22.9.1993، **مركز المعلومات والبحث ـ موقع الكنيست** (מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל)، https://main.knesset.gov.il/Activity/plenum/Pages/Sessions.aspx، ص 154 – 155.

[פרוטוקול ישיבת הכנסת השלוש עשרה מספר 130, 22.9.1993, **מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל**, עמ' 154-155].

[36] حن وبير، "مَرَان - السيرة الذاتية"، ص 313-325.

[37] هناك; التصويت الاسمي على اتفاقية المبادئ، بروتوكول جلسة الكنيست الثالث عشر رقم 129، 21.9.1993، **مركز المعلومات والبحث ـ موقع الكنيست** (מרכז המידע והמחקר – כנסת ישראל)، https://main.knesset.gov.il/Activity/plenum/Pages/Sessions.aspx، ص 101-102; رينهولد، جوناثان، "فشل عملية أوسلو: هل هي متأصلة في عيوبها أم تطبيق خاطئ؟"، **دراسات الأمن والسياسة في الشرق الأوسط** رقم 76، مركز بيغن-السادات للدراسات الإستراتيجية، جامعة بار إيلان، 2008، ص. 2-26.